ملخص بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم والدعوة السرية

مرَّت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدة مراحل، وقد كانت في بداية الأمر دعوة سرية ثمَّ تحولت إلى دعوة جهرية، قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم هو وصحابته إلى المدينة المنورة، وفيما يأتي ملخص بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم والدعوة السرية بالمراحل:

مقدمات النبوة

بدأت آثار النبوة وبعض العلامات التي تقدمت البعثة تظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك قبل البعثة بنحو ستة أشهر، ومن أبزر تلك العلامات والآثار الرؤيا الصادقة، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا إلا تتحقق مثلما رآها، في هذه الفترة بدأ رسول الله يعتزل الناس في غار حراء.

نزول الوحي جبريل عليه السلام

كان نزول جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء أول خطوة في مسيرة البعثة النبوية، وكان عمر النبي صلى الله عليه وسلم آنذاك ٤٠ سنة وستة أشهر، وقال له جبريل في أول لقاء: اقرأ، فقال النبي: ما أنا بقارئ، وكررها عليه ثلاث مرات، ثمَّ تلا جبريل عليه السلام الآيات الكريمة التي كانت أول ما نزل من كتاب الله تعالى فقال: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ."

رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السيدة خديجة خائفًا بسبب ما رآه في الغار، فقالت له السيدة خديجة رضي الله عنها: "كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتُعين على نوائب الدهر"، وأخذته إلى ورقة بن نوفل، فقال له ورقة بن نوفل أنَّ هذا هو الناموس الذي نزل على موسى عليه السلام، وأخبره أن الله تعالى أرسله نبيًا، ولكن الوحي تأخر بعد ذلك فترة من الزمن، فحزن النبي صلى الله عليه وسلم لذلك.

بعد انقطاع الوحي فترة من الزمن رآى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام يجلس على كرسي بين السماء والأرض، وبشره بالنبوة في ذلك الوقت، فخاف النبي أيضًا وعاد إلى السيدة خديجة وهو يقول: زملوني زملوني، فأنزل الله عليه بسبب تلك الحادثة قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ"، وكانت هذه الآيات بمثابة تكليف عظيم من الله تعالى للنبي لدعوة البشر جميعًا إلى رسالة الإسلام والتوحيد.

الدعوة السرية

كانت السيدة خديجة أول شخص يؤمن برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ثمَّ أسلم علي بن أبي طالب ثم زيد بن حارثة وبعده عثمان بن عفان، وكانت بداية الدعوة في مكة المكرمة، وفي هذه المرحلة ساعدت السيدة خديجة النبي كثيرًا وساندته بمالها وحسبها وكلماتها التي كانت تشد عزيمته بها، واقتصرت هذه المرحلة على المقربين على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يأخذهم إلى دار الأرقم حتى يعلمهم القرآن الكريم.

وكان يخبرهم بما أنزله الله تعالى عليه، وكانت الدعوة في هذه المرحلة في غاية السرية خشية أن يقع مكروه على أحد من المسلمين، وبلغ عدد الذين أسلموا مع النبي صلى الله عليه وسلم فس هذه المرحلة نحو ٤٠ رجلًا وامرأة واحدة، فكانوا قليل مستضعفين، واستمرت الدعوة السرية قرابة ثلاث سنوات، كانت الغاية منها نشر الإسلام بين الناس دون تعريض المسلمين للخطر وحتى لا يتم القضاء عليهم.

الدعوة الجهرية

بعد ثلاث سنوات من الدعوة السرية جاء الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم ليجهر بالدعوة، وفي ذلك الوقت كان صعبًا على المشركين القضاء على المسلمين لأنهم من قبائل مختلفة ومنهم من أشراف تلك القبائل، فقال له تعالى في كتابه العزيز: "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ"، حيث أمره أن يدعو عشيرته كنوع من التدرج، وعند ذلك

دعا قومه إلى جبل الصفا ونادى عليهم كما ورد في الحديث ليخبرهم بنبوته، وقد ورد في الحديث عن عبد الله بن عباس أنه قال:

"أرَأَيْتَكُمْ لو أخْبَرْتُكُمْ أنَّ خَيْلًا بالوَادِي تُرِيدُ أنْ تُغِيرَ علَيْكُم، أكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا: نَعَمْ، ما جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إلَّا صِدْقًا، قالَ: فإنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ فَقالَ أبو لَهَبٍ: تَبًّا لكَ سَائِرَ اليَومِ، ألِهذا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: "تَبَّتْ يَدَا أبِي لَهَبٍ وتَبَّ ما أغْنَى عنْه مَالُهُ وما كَسَبَ"، ووقف معه بعد ذلك عمه أبو طالب وسانده في دعوته وحماه من كفار قريش، ولم يكن مسموحًا للمسلمين في هذه المرحلة المواجهة مع الكفار، وبقيت الحال كذلك حتى هاجر المسلمون إلى المدينة المنورة.